

## افتح لي ابواب التوبة يا واهب الحياة احد الفريسي والعشار

ترتل الكنيسة خلال الاحاد الاربعة التي تسبق الصوم. يمكن ان يُعتبر هذا الاحد "كباب" ندخل به إلى المرحلة المقدسة التي تقودنا إلى الفصح، بأن يفتح لنا جو التوبة التي تقودنا إلى القائم من الموت. وكلمة توبة في الإنجيل المقدسة تعني "تغيير في النفس"، أي أكثر بكثير من الامتناع عن بعض المؤكولات والمظاهر الخارجية الاخرى. المطلوب منا تغيير جذري، تجديد ورجوع.

ولكي تشجعنا الكنيسة للتوبة الحقيقية تقرأ على مسامعنا هذا الاحد الفصل الإنجيلي من لوقا اصحاح 18 والذي فيه يصور لنا الإنجيلي رجلان ذهبا إلى الهيكل ليصليا. واحدهما تبرر بسبب تواضعه وندمه الحقيقي (العشار) والاخر يدعي بانه يتم كل متطلبات الناموس، فخور بنفسه. لكن في الحقيقية حور معنى الديانة، فحولها ألى بعض المتطلبات الخارجية وخطوات تقوية مستعملاً المال الذي كان يصدق به للهيكل.

يمكنني القول ان هذا المثل هو الاخطر من كل الامثلة. اذا اعتدنا ان نذم بالفريسية، ولكن رجل الانجيل يقول لنا " بالرغم من كل خطاياي، فانا لست فريسيًا لست مرثياً". إن صلاة هذا الفريسي ليست سيئة بالمطلق. يقول بانه يصوم، يعشر، لا يرتكب خطايا كبيرة، وكل هذه الامور حقائق. وبنفس الوقت لا يدعي يستحق المديح عليها ولكن المديح يجب ان يُعطى لله. لكنه أخطأ في أمرين. (1) ليس في صلاته توبة ولا تواضعاً. فلم يكن يدري كالكثيرين منا بانه كان مذنباً. واكثر من ذلك فقد شبه نفسه بالعشار بكبرياء وازدراء. هل يحق لنا ان نحكم على الفريسي وان نعتبر انفسنا اكثر صلاحاً. هنا نرتكب اذا ما فعلنا نفس الغلطة التي ارتكبها الفريسي. هل يحق لنا ان نضع انفسنا بعكس الآخر او حتى على نفس المستوى كما فعل العشار؟ يمكننا ان نفعل ذلك اذا كان تصرفنا كتصرفه. هل نتجرأ على القول ان تواضعنا هو كتواضع العشار وتوبة؟ اذا ما حكمنا على الفريسي دون ان نكون كالعشار نقع في الفريسية نفسها.

ولنلقي نظرة على العشار: لم يتجرأ لأن يرفع عينيه إلى فوق؛ يقرع صدره، يطلب من الله ان يرحمه. انه كان يعرف بأنه خاطئ. إن كل تصرفاته الجسدية تعبر عن تواضعه. لهذا السبب قال السيد: " إن هذا الإنسان نزل إلى بيته مبرراً دون ذلك" ان في قوله " دون" يكون قد ترك مكانا للتفكير بوضع الفريسي ثم اضاف السيد " كل من يرفع نفسه اتضع، ومن وضع نفسه ارتفع".

هل تبرر العشار فقط لأنه اعترف بخطاياها ووقف امام حضرة الله بتواضع؟ لا شك بان هناك اشياء اخرى. ان قلب صلاة العشار، هي نداء مليء بالثقة لرحمة ومحبة الله " يا الله اغفر لي أنا الخاطئ". هذه الكلمات متخذة من مزمو 50 الذي هو مزمو التوبة: " ارحمني يا الله كمظيم رحمتك..." ان اختيار السيد المسيح لأن يضع هذه الكلمات على شفتي العشار لدليل على هدفه. ان ما يطلبه الله من التائب ومن كل منا " قبل كل شئ ثقة مطلقة برحمته ومحبته لنا.

ما هو التواضع؟ الله هو التواضع.

الذي يعرف الله، الذي يتأمل به وبخليقته وعمله الخلاصي، يتضح له أن التواضع هو نوعية الهية وانه جوهر واشعاع ذاك المجد، الذي كما نرتل خلال خدمة الليتورجيا "يملاً السماء والأرض". ليس من السهل في أيامنا الحاضرة أن تُفقع إنساناً بأن كل ما هو كامل، حقيقي، وحسن، هو بنفس الوقت تواضع. وبسبب كماله لا يحتاج إلى دعاية ولا إله مجد خارجي. الله متواضع لأنه كامل. تواضعه هو مجده. وكل من يعرف الله يأخذ حالاً من هذا التواضع الإلهي ويتحلى به. هذا ما حدث للسيدة العذراء أم الله، التي جمالها جعلها فرح العالم والخليقة.

كيف يصبح الواحد متواضعاً؟

الجواب للمسيحي بسيط: بالتأمل بالمسيح، الإله المتجسد والذي فيه اعلن الله وللأبد مجده  
كتواضع وتواضعه كمجد. ونتعلم التواضع بالتأمل بالمسيح الذي قال: تعلموا مني فأني متواضع..."  
اخيراً نتعلم التواضع بمقارنة كل شيء بالمسيح، واسنادها إليه. بدون المسيح ليس من تواضع حقيقي.  
مرحلة الصوم يبدأ بتفتيش عن، بصلاة للتواضع التي هي بداية التوبة الحقيقية. فلنبتعد عن  
غرور الفريسي ونتعلم تواضع العشار ولندع نور المسيح يشع في نفوسنا ويوجه حياتنا.

أمين

**المتروبوليت بولس صليبيا**